١٠- التبليغ والدعوة:

وقد رأيت أن أختم حديثي عن الفرق والجماعات الإسلامية في عصرنا الحاضر مع جماعة أخرى من الجماعات الإسلامية، لكنها تختلف كل الاختلاف مع الجماعات السابقة التي تبنت الفكر العسكري في كثير من الأحيان، هذه الجماعة قد اتخذت من العلم الدعوي ونشر الإسلام الصحيح فكراً وطريقاً ارتسمته لنفسها، وهذا أمرٌ يستحق الإجلال والتقدير، إنها جماعة التبليغ والدعوة، وهي جماعة إسلامية متجولة، وهبت نفسها للدعوة بالحسنى والزهد في الدنيا، وأسلوبها يعتمد على الترغيب والترهيب والتأثير العاطفي.

بدأت دعوتها في الهند، وقد استطاعت أن تجذب إلى رحابها خلقا كثيرا، وهي تقوم بأمرين أساسين: الأول: تبليغ من لم تبلغه الدعوة الإسلامية، وهدايته إلى الإسلام بالسماحة التي اكتسبوها ومُرّنوا عليها بكثرة المجاهدة والذكر، والثاني: دعوة العاصين من المسلمين إلى الصلاة أولا بوصفها عماد الدين، ولأنها كما يذكر القرآن " تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ"،(١) ثم يخرجون بهم للدعوة في سبيل الله أياما ليروا صورة من صور إيمانهم وإخلاصهم والمحبة بينهم، وهذه الجماعة على كبر حجمها ليس لها ناطقٌ رسميٌّ ولا ممثل أو مخاطَب معتمد.

---

[١]- سورة العنكبوت آية (٤٥) .

نشأتها:

تأسست جماعة التبليغ والدعوة على يد الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (١٣٠٣ – ١٣٦٤هـ)، ولد في كاندهلة، قرية من قرى سهارنفور بالهند، ومركزها في دِلهي العاصمة الهندية، ولا يعرف إلا القليل عن مؤسسها، فهو من أصحاب المربّي الروحي عبد القادر الراي بوري، وكان أبو الحسن علي الحسني الندوي الكاتب الإسلامي المعروف أحد أصدقائه المتواصلين معه منذ التقائهما عام ١٩٣٩م، ويذكر أن الجماعة تأسست عام ١٩٢٦م ، حيث كان مؤسسها محمد إلياس أول أمير لها حتى وفاته، ثم ابنه محمد يوسف ثم إنعام الحسن، وهذه الجماعة ترجع إلى الماتريدية، لكن لاتنشر مذهبها لأنها إن نشرته عارضها الناس، ولم يقبلوا دعوتهم.

انتشرت الجماعة سريعا في الهند ثم في باكستان وبنغلاديش، وانتقلت إلى العالم الإسلامي والعالم العربي، حيث صار لها أتباعٌ في سوريا والأردن وفلسطين ولبنان ومصر والسودان والعراق والسعودية وقطر، وبعد ذلك انتشرت دعوتها في معظم بلدان العالم، ولها جهود في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في أوروبا وأمريكا.

اعتقاداتهم:

وتنتمي جماعة التبليغ والدعوة إلى أهل السنة والجماعة في كل عقائدهم، ولهم بعض التعاليم تجعل منهم تيارا خاصا، وهي كما يلي:

- ينهون عن المنكر، ولكنهم لا يتعرضون إلى قضية النهي عن المنكر كبلاغ جماعي معتقدين بأنهم الآن في مرحلة إيجاد المناخ الملائم للحياة الإسلامية، وأن القيام ببلاغ كهذا قد يضع العراقيل في طريقهم وينفّر الناس منهم.

- يعتقدون بأنهم إذا أصلحوا الأفراد، فرداً فرداً، فإن المنكر سيزول من المجتمع تلقائياً.
- إن الخروج والتبليغ ودعوة الناس هي أمور لتربية الداعية ولصقله عملياً؛ إذ يحس بأنه قدوة، وأن عليه الالتزام بما يدعو الناس إليه، فالخروج ليس هدف ولكنه وسيلة لتعلم اليقين، وزيادة الإيمان ولتعلم أصول الدعوة وآدابها.
- يبتعدون كل البعد عن الخوض في الخلافات المذهبية اتقاء الجدال والانقسام والعداوة.
- لا يتكلمون في السياسة، وينهون أفراد جماعتهم عن الخوض فيها، وينتقدون كل من يتدخل فيها، ويقولون بأن السياسة هي ترك السياسة.

طريقتهم في الدعوة:

لهذه الجماعة أصول للعمل، تعارفوا عليها، وتوافقوا على تطبيقها في مجال الدعوة في الحضر والسفر، ولم يكتبوها في كتب، لكنهم تواصوا بها وتوارثوها، وتقوم على ما يلي:

- إذا خرجوا للدعوة أمرّوا عليهم أحدهم، فليس لديهم مناصب محددة، ولا وظائف دائمة.
- تنتدب مجموعة منهم نفسها لدعوة أهل بلد ما، حيث يأخذ كل واحد منهم فراشاً بسيطاً، وما يكفيه من الزاد، والقليل من المال على أن يكون التقشف هو السمة الغالبة عليه.
- عندما يصلون إلى البلد أو القرية التي يريدون الدعوة فيها ينظمون أنفسهم أولاً بحيث يقوم بعضهم بالخدمة وبتنظيف المكان الذي سيمكثون فيه، وآخرون يخرجون متجولين في أنحاء البلدة والأسواق والحوانيت، ذاكرين الله داعين الناس لسماع الخطبة، أو البيان كما يسمونه.

- إذا حان موعد البيان التقوا جميعاً لسماعه، وبعد انتهاء البيان يطالبون الحضور بالخروج في سبيل الله، وبعد صلاة الفجر يقسّمون الناس الحاضرين إلى مجموعات، يتولى كل داعية منهم مجموعة يعلمهم الفاتحة وبعضا من قصار السور، حلقات حلقات، ويكررون ذلك عدداً من الأيام.
- قبل أن تنتهي إقامتهم في هذا المكان يحثون الناس على الخروج معهم للتبليغ والدعوة، حيث يتطوع الأشخاص لمرافقتهم يوماً أو ثلاثة أيام أو أسبوعاً أو شهراً، كلٌّ بحسب طاقته وإمكاناته ومدى تفرغه، والجماعة تحدّد طريقة لترتيب الخروج أن يكون يوماً في الأسبوع، وثلاثة أيام في الشهر، وأربعين يوماً في السنة، وأربعة أشهر، وهذه لتسهيل عملية السفر والتنقل، وهي ليست بشرط، بل يمكن أن تكون المدد أقل أو أكثر.
- يرفضون إجابة الدعوة إلى الولائم التي توجه إليهم من أهل البلدة أو الحي؛ حتى لا ينشغلوا بغير أمور الدعوة والذكر، وليكون عملهم خالصاً لوجه الله.
- لا ينزلون ضيوفا على أحد، ويقيمون في المساجد.
- لا يعتمد بعضهم على بعض في النفقات، بل كل واحد منهم ينفق على نفسه من ماله الخاص في السفر والحضر، فلا تكاد تجد واحدا منهم يعيش عالة على أخيه، وهم يتعاونون ويكرمون بعضهم البعض.
- لا يهتمون بالعمل لإقامة دولة الخلافة الإسلامية عن طريق الصراع الفكري والكفاح السياسي.
- يعتمدون بصفة كبيرة على قيام الليل في طريقتهم في الدعوة، وفي ذلك التضرع والبكاء بين يدي الله حتى يهدي الله من دعوهم في النهار، فهم يُعرفون بقيامهم الليل، وأنه ركيزة في الدين.

ومن هذا كله فإنني أرى أنها أفضل الجماعات الإسلامية علي الإطلاق؛ حيث إنها فهمت مقتضيات العصر التي تعيش فيه، وطبيعة البشر التي تعيش على تلك الأرض الحافلة بالصراعات والمتناقضات الفكرية والسياسية، فابتعدت عن هذا كله، ورأت أن في نشر الدعوة السبيل إلى إصلاح هذا الإنسان، بعيدا عن الإملاءات أو الأفكار التي تخالف العقيدة الصحيحة التي تربينا عليها، لكن لي ملاحظة وهي: أن الدعوة لا ينبغي أن تكون بمنأى عن مشكلات العصر، فيجب أن يكون هناك تفاعل مع شرائح المجتمع المختلفة، ومواكبة العصر في وسائل التكنولوجيا، حيث إنني لم أرَ منبرا إعلاميا لتلك الجماعة بجانب المسجد، فوسائل التكنولوجيا تمتاز بسرعة انتشارها، ولو سعت هذه الجماعة إلى توظيفها فيما يخدم الدعوة لكانت الفائدة أعظم وأعم.